المحاضرة رقم:02: تاريخ الفكر اللساني عند العرب:

ويعتبر هذا العصر الذهبي لعلماء اللغة العرب، فالدراسات اللغوية العربية بدأت تتطور بعد ظهور الإسلام في القرن الأول للهجرة الموافق للقرن السابع للميلاد ، وبدأت تظهر معها بعض المسائل اللغوية التي ناقشها علماء اليونان والرومان وغيرهم، فمنهم من قال بأنها وضعية اصطلاحية، ومنهم من قال بأنها توقيفية أي أنها الهام من الله تعالى إلى ادم عليه السلام.[1]

ومن أهم القضايا التي تناولها العرب مسألة نشأة اللغة، فانشطروا فريقين ، فريق نادى بفكرة طبيعية اللغة، وأنها توقيفية أي وحي وإلهام من الله سبحانه وتعالى، ومن بين أعضاء هذا الفريق هو ابن فارس في كتابه الصاحبي، إذ عقد بابا بعنوان : " القول على لغة العرب أتوقيف أم اصطلاح ؟" فيقول " أن لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وعلم ادم الأسماء كلها. ﴾سورة البقرة ،الآية 31. [2]

وقد نادى بهذا الرأي أيضا، أبو علي الفارسي(ت356هـ) وذلك حسبما ذكره ابن جني بقوله" إلا أن أبا علي رحمه الله، قال لي يوما: هي من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه: ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها. ﴾ [3]

إلا أن ابن جني نجده لا يأخذ موقفا في هذه القضية، بل يذكر جميع الآراء المذكورة في نشأة اللغة دون تبني رأي معين، وذلك في كتابه "الخصائص"، باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح[4].

---

[1]– أحمد مومن، اللسانيات. النشأة والتطور،ص36

[2]– ابن فارس الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: عمر فاروق الطاع .دار المعارف، بيروت، ط:01، 1993،ص:36

[3]– ابن جني، الخصائص، ج:01، ص: 40

[4]– ينظر: ابن جني، الخصائص، ج:&à، ص:40 –47

النحو العربي: بدأت الدراسات الغوية العربية في الإسلام حول القرآن الكريم وعلومه (علم التفسير وعلم النحو..)، ويشير كثير من الباحثين إلى أن نشأة النحو العربي كانت بسبب شعور المسلمون بخطر اللحن الذي كان يكتسح اللغة العربية الفصحى بعد بعثة الرسول ﷺ في جميع المناطق العربية وكاد اللسان العربي يندثر بسليقته ولهجاته حينما دبت إليه عوامل التحريف اللغوي في وقت كان فيه احتكاك العرب بغيرهم من الأمم المجاورة من فرس وروم وأحباش، ضرورة تقتضيها حياة المسلمين[5].

فوضع النحو يرجع إلى عاملين مهمين هما:

1- خوف المسلمين على القرآن الكريم أن يصيبه تحريف، أو يداخله ما يفسد نصوصه من تصحيف أو لحن.

2-حاجة الشعوب الداخلة في الإسلام، وفي الحكم العربي إلى تعلم لغة الدولة، لتحي في ظلها حياة آمن ، فلغتهم العربية لن تكون خالصة وسليمة ، وذلك بسبب التداخل اللغوي بين لغتهم الأم واللغة الثانية (العربية الفصحى)، خاصة على المستوى الصوتي.[6]

أما عن واضع النحو فقد تباينت أراء واعترافات القدماء و المحدثين، فقد تم ذكر مجموعة من الأسماء، فقال قائلون **أبو الأسود الدؤلي** وقال آخرون **نصر بن عاصم الدؤلي** ، وقال آخرون **عبد الرحمن بن هرمز**.

وأكثر الناس على **أبي الأسود الدؤلي** واسمه ظالم بن عمرو بن سليمان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدي بن الدؤلي بن بكر بن كنانة وكان من سكان البصرة.[7]

ويقال إنه أخذه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه،فالزجاجي (ت337هـ) يقول:" إن أبا الأسود أول من سطر في كتاب: الكلام اسم، وفعل، وحرف جاء لمعنى. فسئل عن ذلك فقال: أخذته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

---

[5]- أحمد جلايلي، مقدمة لأصول النحو العربي، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط:01، 2012، ص: 09

6- مهدي المخزومي..مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة.مطبعة البابي الحلبي وأولاده.مصر.ط:02. 1958. ص33

[7]- أبو طاهر المقرئ. أخبار النحويين.

وذلك عندما "دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فرايته مطرقا مفكرا، فقلت له: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحنا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة.ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إلي صحيفة، فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلمة اسم، وفعل، وحرف، فالاسم ما أنبا عن المسمى، والفعل ما أنبا عن حركة المسمى، والحرف ما أنبا عن معنى ليس باسم ولا فعل[8].

وعلى يد أبي الأسود وتلاميذه(نصر بن العاصم، وعبد الرحمن بن هرمز, وعبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي.(تم وضع مبادئ النحو العربي وبذلك أخذ النحو يتطور بظهور عدة طبقات من النحويين البصريين والكوفيين واخذ التنافس يحتدم بينهم، وعندما أتى الخليل بن احمد الفراهيدي (ت175هـ) دخل النحو العربي مرحلة جديدة فقلد كان هذا العالم الجليل مهتما بالعلوم المستعربة خاصة العلوم الرياضية وقرا كل ما ترجم وخاصة منطق ارسطاليس وقرا ما ترجم عن علم الإيقاع الموسيقي عند اليونان وألف فيه كتابا. واليه يرجع الفضل في ابتكار علم العروض فهو أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب وعمل كتاب العين الذي هو عبارة عن معجم عربي والذي أساس منهجه الدرس الصوتي العربي .

فقد اعتمد على المنهج الصوتي في ترتيب أبواب الكتاب لذلك ابتدئ بالعين وهي أقصى الحروف مخرجا. ولذلك يعد الخليل رائدا للعلوم اللغوية العربية فقد مهد الطريق لتلميذه سيبويه ليضع الملامح الرئيسية للنحو العربي والدرس اللغوي كافة.

ومع ظهور سيبويه بدا دور جديد للنحو العربي بظهور "الكتاب" وهو الكتاب الذي جمع فيه سيبويه جهود النحويين واللغويين السابقين وآراءهم واختلافهم في بعض القضايا النحوية والصرفية.مثل أراء الخليل بن احمد، ويونس بن حبيب والاخفش الكبير وأبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وأبى زيد الأنصاري.

أما عن المنهج الذي اتبعه سيبويه في الدرس اللغوي فيرى كريم زكي حسام الدين: أنه

8- عصام نور الدين .تاريخ النحو.المدخل –النشأة والتأسيس. دار الفكر اللبناني. بيروت. ط:01. 1995. ص21. نقلا عن الزجاجي أبو القاسم. أمالي الزجاجي..تحقيق عبد السلام هارون. مصر. المؤسسة العربية الحديثة.ط01. ص238-239

يساير احدث الاتجاهات للتحليل اللغوي عند شومسكي الذي رأى أن التحليل اللغوي يجب أن يبدأ من التراكيب فالمفردات ثم الأصوات .[9]

أما في مجال الدراسات الصوتية فقد ألف في هذا المجال كتاب وحيد هو "سر صناعة الإعراب " لابن جني الذي ركز فيه على:

1- عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.
2- بيان الصفات العامة للأصوات وتفسيرها باعتبارات مختلفة .
3- ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها العرب في الدراسات الصوتية هي:

1- وضع أبجدية صوتية للغة العربية، رتبت أصواتها حسب المخرج ابتداء من أقصى الحلق حتى الشفتين.
2- تسمية أعضاء النطق بأسمائها (رئة، حلق..) تقسيم الحلق إلى (أقصى، وسط، أدنى) واللسان إلى (أصل، أقصى، وسط، ظهر، حافة، وطرف)
3- تقسيم الأصوات إلى شديدة أو رخوة ، مطبقة أو مفخمة، ومجهورة أو مهموسة
4- تقسيم الأصوات إلى صحيحة ومعتلة.[10]

أما المستوى الدلالي والمعجمي فنجد أن العرب قد درسوا مواضيع ومحاور علم الدلالة، وأولى اهتماماتهم هي البحث في دلالات الكلمات، خاصة ذات الصلة بالقرآن الكريم وذلك بتسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم. وبالتالي إنتاج معاجم الألفاظ، بالإضافة إلى معاجم الموضوعات (المعاني) .

و قد تجلت أهم أعمال الدراسيين العرب الدلالية بما يلي:

- عمل ابن فارس في معجمه (المقاييس) بربط المعاني الجزئية بالمعنى العام.
- عمل الزمخشري في معجمه (أساس البلاغة) للتفريق بين المعاني الحقيقية و المجازية.

---

[9]- عبده الراجحي. مبادئ علم اللسانيات الحديث .ص74فما فوق

[10]- بوقرة نعمان. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة .ص26-27

– أعمال ابن جني في ربط تقلبات المادة (اللفظة) بمعنى واحد.

هذا بالإضافة إلى أعمال لغوية أخرى ذات صلة بعلم الدلالة.[11]

ونجد التأليف المعجمي عند العرب قد اتخذ ثلاث طرق مختلفة رئيسية هي:

1– طريقة الترتيب الصوتي بحسب المخارج الصوتية والتقاليب والابنية الصرفية

2– طريقة الترتيب الالفبائي وفق أصول الكلمات بالنظر إلى الحرف الاخير من الكلمة.

فهاتان الطريقتان تحيلان إلى معاجم الألفاظ، فمن الطريقة الأولى نجد: العين للخليل ابن أحمد الفراهيدي، وتهذيب اللغة للأزهري، والمحكم لابن سيده.والطريقة الثانية نجد مثلا: الصحاح للجوهري، ولسان العرب لابن منظور

3– طريقة الترتيب الموضوعي القائم على جمع المفردات ضمن حقول دلالية أو مجالات معنوية. وهذه تحيل إلى معاجم المعاني، ومن بينها فقه اللغة وأسرار العربية للثعالبي، والمخصص لابن سيده.[12]

لم يكن هم علماء العرب القدامى دراسة اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها وإنما كان همهم دراسة اللغة العربية وحدها بما لها من صلة بالقرآن الكريم فهما وأداء ومعنى هذا أن نظرة العرب إلى اللغة تختلف عن النظرية اللغوية الحديثة في أصولها وأهدافها.

---

[11]– أحمد عمر مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القامرة، ط:05، 1998، ص: 20

[12]– ينظر:عبد القادر سلامي. علم الدلالة في المعجم العربي.دار ابن بطوطة. عمان. ط:01. 2007.ص:03 ، وينظر: بوقرة نعمان. محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة .ص30–31